البشارة المفرحة والتجسد الإلهى

تأملات لمثلث الرحمات نيافة الأنبا بيشوى

مقدمة لنيافة الأنبا ماركوس

"يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ جُدُداً وَعُتَقَاءَ" (مت١٣: ٥٢).. "وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمْ بَعْدُ" (عب١١: ٤).

بعلم متنوع ومتسع مع تفاسير كثيرة ودقيقة تعلَّمنا من أبينا مثلث الرحمات نيافة الحبر الجليل سيدنا الأنبا بيشوي ومازلنا نتعلم من كنوز علمه ومعرفته الغزيرة في مجموعة من الكتب تصدر عن موضوعات مختلفة من عظات وتعاليم لسيدنا المطران الأنبا بيشوي يقوم بتجميعها وإعدادها للطباعة والنشر الأمهات راهبات دير القديسة العفيفة دميانة؛ وذلك لنستنشق منها عطر رائحة كاتبها، ومِن علمه الغزير، وما علَّم به طوال نصف قرن هي سنوات خدمة نيافته وذلك وفاءً وعرفانًا بتعب نيافته في تعمير الدير وإعادة الحياة الرهبانية به والاهتمام بالحياة الروحية داخل الدير بأبوة حانية ورعاية كاملة حتى أصبح الدير من أكبر وأقدم الأديرة الأثرية للراهبات في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

نطلب من ربنا يسوع المسيح أن يكون لإصدار هذه الكتب الفائدة المرجوة لكل من يقرأ وينهل منها.

بصلوات وشفاعات القديسة العذراء مريم والقديسة العفيفة دميانة والأربعين عذراء وبصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني أطال الله حياته وحفظه للكنيسة ولشعبه.

الأنبا ماركوس

أسقف دمياط وكفر الشيخ والبراري

ودير القديسة دميانة

٧ يناير ٢٠١٩م

مقدمة

تعودنا أن نتمتع في عيد الميلاد المجيد من كل عام بتأمُلات روحية عميقة في كتاب يصدره لنا أبينا الغالي مثلث الرحمات نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوي، واستكمالاً لمسيرة العطاء والبذل والتعليم التي بدأها نيافته واستمرت إلى آخر يوم في حياته على الأرض؛ نصدر هذا الكتاب، وهو أول كتاب بعد انتقاله إلى وطنه السماوي بعد رحلة جهاد مجيدة حيث بلغ ميناء الخلاص مكللاً بالمجد والبهاء الأبدي الذي وهبه له ملك الملوك ورب الأرباب، وستظل ذكراه محفورة في قلوبنا ذاكرين له محبته وأتعابه الكثيرة.

لقد قمنا في هذا الكتاب بتجميع بعض التأمُلات من عظات نيافته التي تركها ككنز من اللآلئ الثمينة، **عن البشارة المفرحة والتجسد الإلهي**، نقدِّمها لكل نفس لها أشواق حارة سماوية من الذين يحبون الرب وينتظرون البشارة المفرحة بعمل الرب في حياتهم وتحقيق وعوده لهم.

إن يوم البشارة بالتجسد الإلهي هو نبع الأعياد، لأن البشارة كانت بداية العمل الخلاصي الذي تم بالصليب والقيامة والصعود.

نشكر أبينا الأسقف المكرم **نيافة الحبر الجليل الأنبا ماركوس** الذي اختاره الله لنا ليكمل المسيرة، لتفضله بتقديم ومراجعة هذا الكتاب. الرب يمتعنا بالسلام والمسرة في ذكرى ميلاده المجيد بصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني وشريكه في الخدمة الرسولية أبينا الأسقف المكرم نيافة الأنبا ماركوس أطال الرب لنا حياتهما سنينًا عديدة وأزمنةً مديدة.

راهبات دير الشهيدة دميانة ببراري بلقاس

عيد الميلاد المجيد

٧ يناير ٢٠١٩م

هُوَذَا اللَّهُ خَلاَصِي فَأَطْمَئِنُّ

بالرغم مِنْ تَلاحق أحداث البشارة والميلاد، إلاَّ أن كل حدث منها يدعونا أن نقف أمامه طويلاً ونحن نرى الأزلية والزمن يتعانقان في تجسد الابن الوحيد.

لقد عاشت البشرية في أحزان الموت، تحت سلطانه وظلاله الكئيبة، لذلك نصلي في القداس الإلهي ونقول: [وفي آخر الأيام ظهرت لنا نحن الجُلوس في الظلمة وظلال الموت]. فقد كانت البشرية في احتياج إلى المخلص، ولا تعرف ماذا تفعل لكي تصل إلى الله! فنجد أن إشعياء النبي يتوسل إلى الله أن يأتي إلى عالمنا المحتاج إلى الخلاص فيقول: "لَيْتَكَ تَشُقُّ السَّمَاوَاتِ وَتَنْزِلُ" (إش٦٤: ١).

وقد اعتبر إشعياء النبي نزول السيد المسيح إذ أخلى نفسه آخذًا صورة عبد هو نوع من انشقاق للسماء لكي ينزل الرب الإله ويكون معنا كما قيل "يَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ الذي تفسيره الله معنا" (مت١: ٢٣)، كما ورد في نبوة إشعياء قائلاً: "وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ" (أش٧: ١٤).

➢ الله بمحبته لم يرسل لنا معونة أو مساعدة لكنه جاء بنفسه إلى عالمنا، ولم تتوقف محبته عند حد نزوله وتجسده من السيدة العذراء "الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا" (يو١: ١٤)... لكن الله الكلمة بتجسده صار خلاصًا مِثلَما تغنى إشعياء النبي: "هُوَذَا اللَّهُ خَلاَصِي

فَأَطْمَئِنُّ وَلاَ أَرْتَعِبُ لأَنَّ يَاهَ يَهْوَهَ قُوَّتِي وَتَرْنِيمَتِي وَقَدْ صَارَ لِي خَلاَصًا" (إش١٢: ٢).

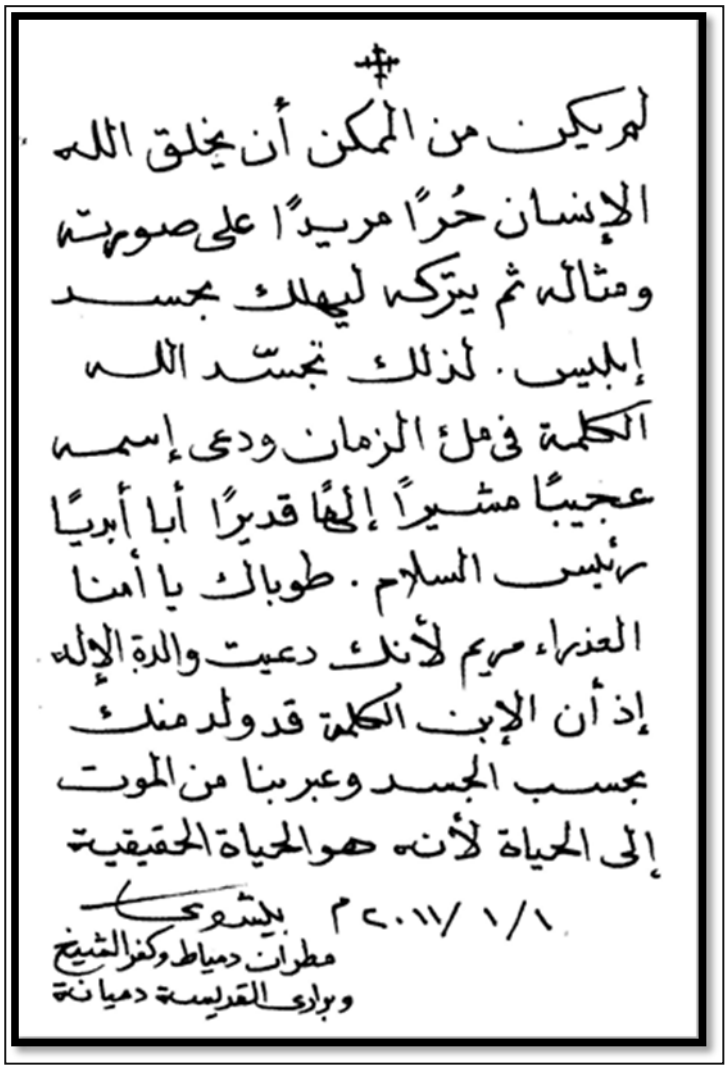
لم يكن من الممكن أن يخلق الله
الإنسان حرًا مريدًا على صورته
ومثاله ثم يتركه ليهلك بجسد
إبليس. لذلك تجسّد الله
الكلمة في ملء الزمان ودعى إسمه
عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا أبا أبديًا
رئيس السلام. طوباك يا أمنا
العذراء مريم لأنك دعيت والدة الإله
إذ أن الإبن الكلمة قد ولد منك
بجسد الجسد وعبر بنا من الموت
إلى الحياة لأنه هو الحياة الحقيقية
١/١ /٢٠١١م بيشوى
مطران دمياط وكفر الشيخ
وبرارى القديسة دميانة

وعندما جاء السيد المسيح إلى العالم لم يحضر فجأة حتى لا يُصاب الناس بصدمة. وربما لا يصدِّق البعض أن الذي تنتظره البشرية منذ خمسة آلاف سنة يظهر فجأة ودون أي مقدمات. فلابد مِن حدوث اتصالات بين السماء والأرض بنبوات وإشارات وترتيبات قبل أن يصل موكب الملك فيستعد الناس لاستقباله. وعن هذه الشهادات والنبوات والاستعدادات قال معلِّمنا بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية: "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ" (رو٣: ٢١).

وقد شهد للسيد المسيح إشعياء النبي وكذلك داود النبي ودانيال النبي وموسى النبي وكل الأنبياء شهدوا للسيد المسيح؛ وكل الأسفار جهزت لمجيء السيد المسيح.

إن عملية التجهيز هذه استغرقت آلاف السنين حتى عندما يحين موعد مجيئه لا يعتذر أحد ويقول أنا لم أعرف لم يخبرني أحد.. فكل شيء كان مجهزًا ومرتبًا، فهناك نبوات مكتوبة منذ آلاف السنين؛ فمثلاً عن مكان ميلاده ذكر ميخا النبي في نبوته: "أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْم أَفْرَاتَةَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ" (مي٥: ٢).

وعن زمن مجيئه حدد دانيال النبي ذلك في السفر المسمّى باسمه، حيث قال "فَاعْلَمْ وَافْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبِنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةُ أَسَابِيعَ وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ أُسْبُوعًا، يَعُودُ وَيُبْنَى سُوقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضِيقِ الأَزْمِنَةِ" (دا٩: ٢٥). والمجوس الذين كانوا في مملكة فارس وآمنوا بإله دانيال وما كتبه من أقوال إلهية، كانوا يعلمون الوقت الذي صدر فيه الأمر لتجديد أورشليم، فقاموا بحساب الزمان وعرفوا متى سيأتي السيد المسيح ملك الملوك. لذلك

حينما جاء موعد ميلاد السيد المسيح، ورأوا نجمًا واضحًا مميزًا عن باقي النجوم، فهموا من منظره ومساره أنه نجم الملك العظيم الذي هو ملك ملوك الأرض. فأتوا إلى أورشليم يقودهم النجم العجيب وسألوا: "أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ" (مت٢: ٢). وقد جمع هيرودس الملك رؤساء الكهنة والفريسيين والكتبة وَسَأَلَهُمْ: "أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟ فَقَالُوا لَهُ: فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: (مت٢: ٤، ٥).

فجميع الحاضرين في ذلك الحين علموا أن السيد المسيح وُلد في بيت لحم. وهكذا تحققت النبوات الإلهية في ليلة الميلاد.

يوحنا السابق

أمَّا عن المرحلة السابقة لميلاد السيد المسيح والمرتبطة بميلاد أعظم مواليد النساء من الأنبياء الذين سبقوا السيد المسيح، فإن هذه الفترة كانت مرتبة بمنتهى الإتقان. حيث تنبأ ملاخي النبي قائلاً: "هَئَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (ملا ٣: ١).

وقال يوحنا الإنجيلي البشير في إنجيله عن هذا السابق الذي يهيئ الطَّرِيقَ أَمَام الرب: "كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ اسْمُهُ يُوحَنَّا. هَذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ لِكَيْ يُؤْمِنَ الْكُلُّ بِوَاسِطَتِهِ. لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ" (يو ١: ٦-٨)، جاء يوحنا المعمدان يدعو الناس إلى التوبة قائلاً: "أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً" (مر ١: ٢، ٣).. لقد تأخَّر الحبل بيوحنا المعمدان خصيصًا لتزامن البشارة به مع البشارة بتجسد الكلمة ليكون هو الذي يتقدَّم أمام الرب بروح إيليا وقوته وليكون هو الصوت الصارخ في البرية (لو ٣: ٤). تحقيقًا للوعد الإلهي.

وقد ابتدأ يوحنا يُعمد الناس ويعدَّهم بالتوبة لاستقبال خدمة السيد المسيح الخلاصية. وقال عن معموديته: "أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ وَأَمَّا هُوَ فَسَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ" (مر ١: ٨).. معمودية يوحنا كانت للتوبة وكانت لتجهيز الناس لفكرة المعمودية حتى صارت أمرًا مقبولاً، حتى عندما يتمّم السيد المسيح الفداء يقول عن معموديته التي باسم الآب والابن والروح القدس: "مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ" (مر ١٦: ١٦).

اسم يوحنا

اهتم الكتاب المقدس بإبراز اسم "يوحنا". هذا الاسم الذي كان اختياره من قِبل الله نفسه، إذ قال الملاك لزكريا عندما ظهر له عن

يمين مذبح البخور وهو يكهن في نوبة فرقته أمام الله: "لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا **وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا**" (لو ١: ١٣).

➢ لقد رأى زكريا الملاك داخل الهيكل وعاين رؤيا سماوية والملاك أنبأه بأمور سوف تحدث عن ميلاد يوحنا المعمدان وعن رسالته حيث قال له الملاك عن يوحنا: "لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ يَشْرَبُ وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِمْ. وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا" (لو ١: ١٥– ١٧).

➢ ثم عند ميلاده صارت مناقشة حول تسمية المولود، أراد الجيران والأقارب أن يسموه على اسم أبيه زكريا، فقالت أليصابات أُمه لا بل يسمى يوحنا. قالوا لها: ليس أحد في العائلة تَسمى بهذا الاسم من قَبْل.

حينئذ احتكموا لأبيه فطلب منهم لوحًا –إذ كان صامتًا منذ أن بشره الملاك– وكتب عليه اسمه يوحنا، وفي هذه اللحظة انفتح فمه ولسانه وتكلم مباركًا الله وامتلأ من الروح القدس وتنبأ.

اسم زكريا معناه: اللَّه تذكر "يهوه ذكر"، واسم يوحنا معناه: الله تحنن "يهوه تحنن"، (المقطع "يهو" أو "يو" هو جزء من اسم يهوه)، واسم يسوع معناه: اللَّه يخلص "يهوه يخلص".

لقد كانوا فقط يعرفون "اللَّه تذكر" لكن "اللَّه تحنن" كان مفهومًا جديدًا عليهم!

وهكذا نجد أن الأسماء لم تكن صدفة لكن بترتيب من الله.

{الله تذكر، الله تحنن، الله خلص}

يجب علينا أن ننتظر عمل الرب في حياتنا ولو تأخر فلابد أن يستجيب حسب وعده. وحينما يأتي فإنه يأتي بقوة واقتدار ليصنع خلاصًا عظيمًا.

➢ بعد ولادة يوحنا أخذ زكريا درجة أعلى وهي إنه امتلأ من الروح القدس وابتدأ يتنبأ. وفي حديثه وهو ممتلىء من الروح القدس لم يكُن كلامه من واقع فكره الخاص بل بوحي من الله وقد يكون زكريا الكاهن هو نفسه على غير وعي بهذا الكلام من قبل. وغير مدرِك لأعماقه.

تسبحة زكريا

📖 "وامْتَلأَ زَكَرِيَّا أَبُوهُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَنَبَّأَ قَائِلاً: مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ **افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ. وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ**

فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ. كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ. خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا **وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ**. الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا: أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا نَعْبُدُهُ. بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا. وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ. **لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ**. **بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا** الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا **الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلاَءِ**. لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ" (لو ١: ٦٧-٧٩)

"افتقد وصنع فداءً لشعبه"

حينما وُلد يوحنا المعمدان امتلأ زكريا الكاهن أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً: "مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه. وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه. كما تكلَّم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر" (لو ١: ٦٨-٧٠).

➢ كان زكريا يتكلم عن تجسد الله الكلمة في بطن السيدة العذراء القديسة مريم الذي بدأ قبل كلامه هذا بنحو ثلاثة أشهر، ولم يكن

السيد المسيح قد وُلد بعد من العذراء. ولكن الروح القدس نطق على لسانه بكلمات هذه النبوة.

والعجيب أنه قال إن الرب الإله قد افتقد وصنع فداءً لشعبه كما لو كان الخلاص قد تم. هكذا نجد أن كثير من النبوات ذُكرت بصيغة الماضي قبل حدوثها بآلاف أو مئات السنين.

لقد بدأ الخلاص بتجسد الكلمة في بطن العذراء الذي تكلم عنه زكريا بالروح القدس وقال إن الرب الإله قد "افتقد وصنع فداءً لشعبه" (لو ١: ٦٨).

"وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ"

إن زكريا الكاهن في بداية حديثه لم يتحدث عن يوحنا بل تكلم عن السيد المسيح فقال: "وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ. كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ" (لو ١: ٦٩-٧٠).

ظلت السيدة العذراء في بيت زكريا قرابة ثلاثة أشهر، وعند وصولها استقبلتها أليصابات قائلة: "مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ" (لو ١: ٤٢). فقالت السيدة العذراء تسبحتها: "تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ. وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي. لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي. لأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ وَاسْمُهُ قُدُّوسٌ. وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ. صَنَعَ قُوَّةً

بِذِرَاعِهِ. شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ. أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ. أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ. **عَضَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ لِيَذْكُرَ رَحْمَةً. كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا. لِإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأَبَدِ**" (لو ١: ٤٦-٥٥).

سمع زكريا هذه التسبحة لذلك قال: "وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ" (لو ١: ٦٩)... أي أنه تحدث عن السيد المسيح الذي مازال في بطن السيدة العذراء مريم "كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ" (لو ١: ٧٠). جميع الأحداث مرتبة بنبوات منذ القديم "خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ" (لو ١: ٧١-٧٢).

"يَذكُرَ عَهدَهُ الْمُقَدَّسَ"

- بواسطة اسمه "زكريا" أعلن أن الله تذكر وقال "**يذكر عهده المقدس**". ثم قال "الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا: أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا" (لو ١: ٧٣-٧٥) ليوضح أن الله تذكر القَسَم.
- ثم قال من أجل **تحنن رحمة إلهنا** "بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلاَءِ. لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ

وَظِلاَلِ الْمَوْتِ لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ" (لو ١: ٧٨-٧٩).

يذكر عهده أي زكريا. الله تذكر، وتحنن رحمة إلهنا أي يوحنا، الله تحنن، وعندما تحدث عن الخلاص قال: "وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ" (لو ١: ٦٩) أي "يسوع" الله يخلص.

في ملء الزمان تذكّر الله عهده المقدس؛ فتحركت أحشاءه بالحنان فصنع الخلاص.

"لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ"

➢ "لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ".. يعطي عِلم الخلاص لشعبه.. وعلى الشعب أن يفهم قيمة الخلاص. جاء يوحنا المعمدان لكي يُعلِّم الناس أمورًا مختصة بالخلاص فقال: "الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقِرًّا عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ" (يو ١: ٣٣-٣٤). ومرة أخرى قال: "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يو ١: ٢٩).

"يعطي شعبه عِلم الخلاص" أي يُعلِّم ويُعرِّف الناس من هو السيد المسيح. وقال: "وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ" (يو ١: ٣٤)، هذا هو مشتهى الأجيال، هذا هو مخلِّص العالم، هذا هو

رب الأرباب وملك الملوك، هذا هو الذي يستطيع أن يُخلّصني ويُخلّصكم، هذا هو الله الظاهر في الجسد، فوق الجميع، وله تجثو كل ركبة ما في السماء وما على الأرض وما تحت الأرض.

رسالة يوحنا المعمدان كانت رسالة عظيمة جدًا إنه ينادي بالتوبة قَائِلاً: "تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ" (مت٣: ٢). يهيئ للرب شعبًا مستعدًا، يرد العصاة إلى فكر الأبرار. وجعل الناس تنتظر المخلِّص الذي يحمل خطايا العالم كله.

الذي به نحيا ونتحرك ونوجد وله في حياة كل إنسان وكل مخلوق عمل عجيب. كل ذرة في الخليقة تدين بوجودها ونظامها للإله الكلمة الذي "كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ" (يو ١: ٣).

- شوَّق يوحنا الناس لكي يلتّفوا حول السيد المسيح، شوَّق الناس أن يبحثوا كيف سيتم الفداء؟

كيف سيتم الخلاص؟

قدَّم السيد المسيح نفسه ذبيحة على الصليب وخلَّص العالم وتَحققتْ مواعيد الله للبشر كما لخصها زكريا وقال: "خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا" (لو ١: ٧١)، "أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا نَعْبُدُهُ. بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا" (لو ١: ٧٤،٧٥). لقد شرح يوحنا ذلك في تعليمه وأعد الموقف تمامًا لمجيء المخلِّص.

لقد مَرتْ على البشرية أجيال طويلة والله يُجهزها، لكن التجهيز وصل إلى ذروته حينما ظهر يوحنا المعمدان بعد أن تربى في البرية "وَكَانَ فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لِإِسْرَائِيلَ" (لو ١: ٨٠).

"بأحشاء رحمة إلهنا"

أكمل زكريا الكاهن أقواله النبوية الرائعة إلى قوله "بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرق من العلاء ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام" (لو ١: ٧٨، ٧٩)

ما أجمل عبارة "بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا".. إن أحشاء رحمة الرب تعني رحمته العميقة الناشئة عن محبته الجياشة والفياضة التي تتحرك نحونا باستمرار.

وقد استخدم أيضًا القديس بولس الرسول هذا التعبير في قوله: "فَإِنَّ اللهَ شَاهِدٌ لِي كَيْفَ أَشْتَاقُ إِلَى جَمِيعِكُمْ فِي أَحْشَاءِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (فى ١: ٨).

➢ عندما ظهر الله لموسى النبي في هيئة نار مشتعلة في عليقة في البرية "قَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي **عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ. فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ**" (خر ٣: ٧، ٨).

إن الرب يشعر بآلامنا ومذلتنا وأوجاعنا.. وتحركت أحشاء رحمته وننزل ليخلصنا وينقذنا من فم الأسد، كما خلّص داود النبى أحد خرافه من فم الأسد والدب (انظر ١صم١٧: ٣٤-٣٧).

ولازال الرب هو نفسه يرى آلام شعبه

ويعمل من أجل راحتهم ونجاتهم.

"المشرق من العلاء"

قول زكريا

الكاهن "المشرق من العلاء" يُذكِرنا بقول ملاخي النبي "وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا" (ملا٤: ٢). إن شمس البر هو السيد المسيح الذي فتح ذراعيه مثل جناحين على الصليب من أجل شفائنا من مرض الخطية. وهو الذي أظهر لنا نور الآب بل أنه هو نفسه بهاء مجد الآب "الذي وهو بهاء مجده.." (انظر عب١: ٣).

من يستطيع أن يعبّر عن ذلك التجسد الإلهي الذي يفوق الوصف والإدراك؟!!..

ومن يستطيع أن يتكلم عن الفداء الذي صنعه الله الكلمة بتجسده، وموته، وقيامته، وصعوده إلى السماء؟!!..

من يمكنه أن يصف ذاك الذي فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا؟!!..

البشارة بميلاد المخلص

يقول إشعياء النبي: "مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ" (إش٥٣: ١).

فما هو الخبر العجيب الذي تحدث عنه النبي؟ إنه الخبر الذي بدأ به تنفيذ رحلة الخلاص؛ وهو **البشارة بميلاد السيد المسيح** من العذراء مريم إذ يتجسد متأنسًا منها بفعل الروح القدس. الأمر الذي لم يحدث مِن قبل في كل تاريخ البشرية ولن يتكرر، وهو أن تحبل عذراء بدون زرع بشر وتلد ابنًا؛ طفلاً حقيقيًا؛ هو نفسه الله الكلمة الذي تجسد في ملء الزمان من أجل خلاصنا.

ففي اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات تحتفل الكنيسة بتذكار عيد البشارة المجيد. والفترة من ٢٩ برمهات حتى ٢٩ كيهك هي تسعة أشهر، وهي فترة الحَبَل الإلهي، حَبَل السيدة العذراء، حينما تجسد كلمة الله الأقنوم الثاني في أحشائها ووُلد بعد تسعة أشهر.

إن ذكرى البشارة هي ذكرى عميقة تعتز بها الكنيسة لأن في مثل هذا اليوم أُعلن خلاص الله للبشرية، في مثل هذا اليوم جاء ملاك مرسل مِن السماء ليبشر السيدة العذراء مريم بل ليبشر العالم كله ببشارة الخلاص المحيية.

ظلت الملائكة تنتظر أن تحمل هذه البشرى للبشرية. لكن لم تكن الأوامر الإلهية قد صدرت بعد، لأنه لم توجد بعد مَن هي مستحقة

أن تصير إناءً يحمل الإله المتجسد. لقد انتظرت السماء طويلاً حتى أتى ذلك اليوم، وانتظرت البشرية أيضًا طويلاً حتى اختار الله تلك الممتلئة نعمة التي وجدت نعمةً عند الله. التي باتضاعها يمكن أن تصير والدة للإله الكلمة الذي تجسد منها بفعل الروح القدس؛ إذ اتخَذ منها ناسوتًا كاملاً بغير خطية.

"اِسْمَعِي وَانْظُرِي وَأَمِيلِي أُذْنَكِ"

يتحدث المرنم في المزمور الرابع والأربعين –حسب الترجمة القبطية– عن السيدة العذراء مريم قائلاً: "اسْمَعي، يا ابنتِي، وانْظُري وأَمِيلي أُذُنَكِ، وانْسَي شَعْبَكِ وبَيْتَ أبِيكِ؛ فإنَّ المَلِكَ قد اشتهَى حُسْنَكِ، لأنه هو ربُّكِ" (مز ٤٤: ١٠، ١١).

"الملك قد اشتهى حسنك" لا شك أن الله قد وجد في السيدة العذراء الصفاء، وجد فيها الصفات المختارة حتى أنه اشتهى أن يأتي ويتجسد في أحشائها، فجاء إليها الملاك وبشرها قائلاً: "سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الممتلئة نعمة! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ.... لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ" (لو ١: ٢٨، ٣٠). هذا اليوم فرحتْ فيه الملائكة، وفرح فيه قلب الله الآب. في قبول السيدة العذراء لهذا الصليب الذي ستحمله إذ تلد ابنًا بدون زرع بشر وتصير عُرضة للشك والتعيير والهوان، لأول مرة تُقدِّم البشرية

طاعة مرضية للآب (باستثناء الطاعة التي قدمها إبراهيم بالنية عندما قال له الرب أن يقدم ابنه إسحاق ذبيحة).

وها هي ابنة إبراهيم تُقدِّم إرادتها على مذبح الطاعة وتقول: "هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ" (لو ١: ٣٨).

عندما قَبِلت العذراء بشارة الملاك، فقد قدَّمت إرادتها على مذبح الطاعة. وفي تلك اللحظة فُتحت السماء وتعانقت مع الأرض.

وللمرة الأولى لست أقول فقط في تاريخ البشرية ولكن للمرة الأولى منذ الأزل تتعانق الطبيعة الإلهية مع الطبيعة البشرية، في تجسُد الله الكلمة. هذا هو أعظم حدث في التاريخ منذ الأزل وإلى الأبد لم يحدث مثله ولن يكون. هنا اتَّحد اللاهوت بالناسوت وأتى ابن الله لكي يصنع خلاصًا وفداءً للبشرية، ألا يليق بهذا اليوم التكريم من جيل إلى جيل، ومن دور إلى دور، وعلى مر الأيام؟!

كل إنسان يستطيع أن يعيش أحداث هذه البشارة المجيدة، في كل يوم وفي كل لحظة، ففي كل مرة يُقدِّم الإنسان إرادته للآب لكي يصنع مشيئة الله حينئذ تتحد الإرادتان، وحينئذ يحيا السيد

المسيح في داخله ويعمل فيه إرادته حتى يتمم خلاصًا قد سبق الله ودبره في مقاصده.

عندما نعيش بروح عيد البشارة في كل يوم، نستطيع أن نستمع إلى بشرى الملائكة، نستطيع أن نتهلل مع صفوف السمائيين، حينما نُقدِّم إرادة طائعة لله الآب، والطاعة ليست حدثًا عابرًا ولكنها نتيجة حتمية في حياة الامتلاء بالنعمة وللوجود الدائم في حضرة الله، وهي نتيجة لمن يشعر بوجود الله.

"الرب معكِ"

قال الملاك للسيدة العذراء مريم: "سلام لك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك"، كان الرب مع السيدة العذراء مريم ولهذا لم تجد صعوبة في طاعته ولكنها أطاعته راضية وقالت: "هوذا أنا أمة الرب".. هذا لم يحدث عرضًا ولكنه كان أسلوبًا في حياتها.. إنها بدأت خادمةً للرب فأطاعته بفرحٍ وشوقٍ عظيم.

الله لا يقتحم الإنسان إطلاقًا ولكن يحدث تلاحم حيث الاشتياق المتبادل بين الملك الذي اشتهى حسن العروس، والعروس التي اشتاقت إليه شوقًا حارًا في عذوبةٍ غير موصوفة، "اِسْمَعِي يَا ابِنة

وَانْظُرِي وَأَمِيلِي أُذْنَكِ"، هذه التي كانت شاخصة بعينيها إلى باريها، هذه التي سمعت بأذنيها صوت الله، هذه كما اشتاقت إليه هو أيضًا اشتاق إليها، وهذا سر عظيم. هكذا نستطيع نحن أيضًا أن نسلك بروح البشارة فتكون كل أيامنا أعيادًا، ونستطيع في كل يوم أن نصنع بشرى جديدة في حياتنا عندما يظهر أننا على الدوام نسلك فى حضرة الآب ونستطيع أن نتغنى مع داود قائلين "جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ. لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ لِذَلِكَ فَرِحَ قَلْبِي وَابْتَهَجَتْ رُوحِي. جَسَدِي أَيْضًا يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا" (مز ١٦: ٨، ٩).

"لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ"

رتبت الكنيسة أن يُقرأ إنجيل بشارة الملاك للسيدة العذراء مريم في قداس الأحد الثاني من شهر كيهك، بعد بشارة الملاك جبرائيل لزكريا الكاهن بولادة يوحنا المعمدان والذي يُقرأ في الأحد الأول من شهر كيهك.

نلاحظ في بشارة الملاك للعذراء أنه ظل يتناقش معها وانتظر منها الرد. لم يكُن قد جاء ليعطيها خبرًا، ولا لمجرد أن يبلغها بشيء سوف يحدث، ولكنه جاء لكي يشرح لها ويفهمها ويقنعها حتى إذا قَبِلَتْ الرسالة يتم تَجسُد ابن الله الكلمة في أحشائها.

فما أروع قولها للملاك جبرائيل "هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ" (لو ١: ٣٨). لهذا ففي مديح عيد الميلاد المجيد تسبح الكنيسة وتنادي السيدة العذراء بقولها: [ولما اقتبلتِ التبشير وأذعنتِ للسر الأعظم.. حل الكلمةُ كالتدبير وأخذ جسدًا منكِ يا مريم].

هل يمكن أن تكون السيدة العذراء مريم أقل من الأرملة حنة النبية بنت فنوئيل التي تكلمت عن الطفل يسوع عندما ذهبت به أُمه العذراء مريم إلى الهيكل بعد ولادته بأربعين يومًا!! وتكلمت حنة النبية بالروح القدس عنه مع جميع المنتظرين فداءً فى أورشليم. ولماذا قال الملاك للعذراء مريم: "وجدتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ" (لو ١: ٣٠)؟

إذا كان صوت سلام العذراء مريم وهي تحمل السيد المسيح في بطنها قد جعل أليصابات تمتلئ من الروح القدس ويمتلئ الجنين يوحنا بالروح القدس في بطنها ليصير أول نبي وهو في بطن أمه، وليصير أعظم مواليد النساء بين الأنبياء. فهل يمكن أن تكون القديسة مريم أقل من أليصابات؟!

إن طريقة الله هي أن يُقنع الناس، وليس أن يجعلهم يعملون ما يريده غصبًا. والسيد المسيح نفسه كان يشرح الأمور المختصة بملكوت الله وكان يوضح أسباب الوصايا التي كان يقولها.

هذه هي طريقة الله أن يشرح لماذا يفعل الأمر، ويشرح ما هو الهدف من العمل الذي يعمله وما هو مغزى الوصية؟

هكذا عندما جاء الملاك ليبشر السيدة العذراء، شرح لها ما سيحدث وكيف سوف تحبل بدون زواج، ومن هو الذي سيولد منها، وماذا سيعمل. فقال لها الملاك: "هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ. وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ" (لو ١: ٣٢-٣٣). وأخبرها بأن اسمه يكون يسوع بمعنى اللَّه يخلص.

فقالت مريم: "هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ" (لو ١: ٣٨). عندما قالت هذا انصرف الملاك، وتجسد الكلمة في أحشائها. انظروا كيف يتعامل اللَّه مع البشر، كأنه ينتظر السماح من السيدة العذراء مريم لكي يتجسد في أحشائها، وتصير هى السماء الثانية والدة الإله. حتى عندما يعطيها هذه الكرامة العظيمة، عندما يعطيها هذه النعمة يستأذن منها، حتى لا تأخذ نعمة أو كرامة تكون غير موافقة عليها أو ترفضها أو تكون غير مقتنعة بها.

الله له طريقة لمن يريد أن يسمع، لكن الذي يعاند مع الله لا يستطيع أن يفهم ولا يستفيد شيئًا.

يا ليتنا نأخذ درسًا من بشارة السيدة العذراء مريم كيف نتعامل مع الله اللطيف الحنون الذي يحاول أن يصل إلى داخل فكرنا وإلى داخل قلوبنا لكي نفرح بحضوره وعمله فينا.

- العذراء عندما آمنت بتجسد الكلمة وفهمت سر التجسد الإلهي هذا يعني أن عقلها ارتفع لدرجة عالية بالإيمان مما جعلها السماء الثانية، فالعذراء سماء ثانية لأن السيد المسيح سكن في أحشائها كما هو ساكن في السماء.
- العذراء بفكرها وإيمانها وروحها سَمت وارتفعت جدًا حتى فهمتْ سر التجسد الإلهي، فكما تجسد وسكن في بطنها هكذا كان في فكرها وروحها فاستطاعت أن تفهم حلول الله في الجسد وأن تؤمن به وتمجده، واستطاعتْ أن ترى بعيني إيمانها ما جعلها تسمو فوق الشاروبيم والسيرافيم الحاملين العرش الإلهي.
- العذراء هي والدته وعبدته وعروسه وابنته في نفس الوقت بل قال عنها أيضًا في سفر نشيد الأناشيد إنها أخته بقوله: "أختي العروس" (نش٤: ١٠).

ياللعجب!! كيف جمعت العذراء مريم كل هذه الألقاب في آنٍ واحد؟ ولكن "وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَد" (١تي٣: ١٦).

لقد أعد الرب كل شيء قبل الزمن "لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ" (٢تي١: ٩). أي قبل كل الدهور.

فما أعده الله الآب "قبل الأزمنة الأزلية" قد تحقق في "ملء الزمان" بحسب قصد الله ومسرته التي قصدها في نفسه "لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَة" (أف١: ١٠).

لقد جاء ملء الزمان.. جاءت الممتلئة نعمة التي بسبب طاعتها وتواضعها قد اطّلع الآب من السماء فلم يجد من يشبهها

أرسل وحيده أتى وتجسد منها (ثيئوطوكية يوم الأربعاء)..

عجيبة هذه العذراء مريم!

قال مار إفرام السرياني عن العذراء القديسة مريم:

"عجيبة هي أمك ... سبر اللآل دخلها فخرج إنسانًا. الرب دخلها فأصبح عبدًا.. اللامحدود دخلها فصار صامتًا داخلها.. الرعد دخلها فهدأ صوته.. راعى اللآل دخلها فصار منها حملاً.. إن بطن أمك قد غيرت أوضاع الأمور

يا منظم الكل.. الغنى دخلها فخرج فقيرًا.. العالي دخلها فخرج في صورة وضيعة.. الضياء دخلها فأخفى نفسه.. معطي الطعام دخلها فصار جائعًا.. مروي الجميع دخلها وخرج ظمآنًا.. ساتر الكل خرج منها مكشوفا وعريانًا"

كيف نعيش بروح البشارة المفرحة؟

لقد تحدثنا عن حدث البشارة ولكن كيف نحيا عمليًا بروح البشارة في حياتنا؟

- في البشارة نتعلم أن ننشر أخبارًا مفرحة، يوجد بعض أناس ينشرون أخبارًا غير مفرحة، أو ينظرون للأمور بمنظور غير مفرح، فالشيء الذي يفرح به كثيرون يحزنهم هم، وفي نفس الوقت يعملون على بث ذلك الحزن.
- إن كان هناك ما يُحزن بالفعل مثل نياحة شخص عزيز؛ علينا أن نعمل بقول الكتاب المقدس: "لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ" (١تس ٤: ١٣). فإذا تحدث أحد بعد نياحة شخص يتكلم عن سيرته العطرة، يتكلم عن شركة القديسين التي عاش فيها يتكلم عن صلواته التي سوف يصليها من أجله.

- حينما نحتفل بعيد البشارة في تذكاره السنوي أو في التذكار الشهري نحاول أن يكون دائمًا لدينا أخبار سارة نقولها للآخرين.
- نقدِّم للناس ما يرفع معنوياتهم، ونقدِّم لهم ما يُشعرهم بأفضال الله الكثيرة علينا التي نحتاج أن نشكره عليها.
- في عيد البشارة نتخلص من النظرة السوداء للأمور ونحاول أن نأخذ الأمور من جانبها المضيء أو المفرح.
- البشارة للسيدة العذراء مريم كان فيها ما يُحزن، وهو ماذا سوف تقول لخطيبها يوسف البار بعد أن تَحبَل بالكلمة المُتجسِد دون زرع بشر؟! وماذا تقول لجموع الناس التي تراها؟! لا تظنوا أن الجزء المُحزن في البشارة كان أمرًا بسيطًا، كيف لعذراء غير مرتبطة بعلاقة زواج أو حتى لو مخطوبة على وشك الزواج أن تصبح حبلى؟! هذا أمر صعب!
- لكن لاحظوا ماذا يقول الكتاب: "فَقَامَتْ مَرْيَمُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَذَهَبَتْ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْجِبَالِ إِلَى مَدِينَةِ يَهُوذَا وَدَخَلَتْ بَيْتَ زَكَرِيَّا وَسَلَّمَتْ عَلَى أَلِيصَابَاتَ" (لو ١: ٣٩، ٤٠)، لأن الملاك قال للسيدة العذراء "وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضًا حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا" (لو ١: ٣٦)، ففرحَتْ وذهبتْ إليها لتهنئها. أمَّا

عن أليصابات فإن الروح القدس أرشدها للأسرار التي لم تذكرها السيدة العذراء ولم ترد أن تعلنها؛ قالت أليصابات: "مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟" (لو ١: ٤٢، ٤٣). كانت السيدة العذراء بعد قبولها بشارة الملاك في حالة فرح عبَّر عنها الكتاب هكذا: "فَقَامَتْ مَرْيَمُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَذَهَبَتْ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْجِبَالِ إِلَى مَدِينَةِ يَهُوذَا" (لو ١: ٣٩). إذا أصابت ضيقة شخصًا ما فلن يستطيع القيام بمثل هذا العمل، لكن السيدة العذراء كانت في حالة من الفرح فذهبت مسرعة. القديسون ليس لديهم كسل ولذا فقد تنبأ الكتاب عن العذراء مريم وقال: "وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ: هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ فَتَرْتَجِفُ أَوْثَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا" (إش١٩ :١) شبهها الوحي الإلهي بسحابة خفيفة وسريعة، أي أن السيدة العذراء كانت مثل سحابة سريعة لا تمكث في مكان، فبمجرد أن وصلت إليها البشارة أسرعت إلى أليصابات.

- أمَّا عن الجانب المحزن في البشارة فقد تركته لتدبير الله، وعندما رَجعتْ ولاحظ خطيبها يوسف مظاهر الحَبَل واضحة؛ أراد تخليتها سرًا. وأمَّا هي فكانت واثقة في عمل الله.
- عندما نحتفل بالبشارة المفرحة والتجسد لابد أن نُشارك السيدة العذراء في الآلام التي احتملتها بفرح، بالأخبار المفرحة السماوية التي جاءت إليها، ففرحَتْ وتهللتْ وأول كلمة نطقت بها: "وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخَلِّصِي" (لو ١: ٤٧).

يا ليتنا نبحث عما يُفرح في كل الأمور المحيطة بنا، وأمَّا ما فيه حزن ومصائب وكوارث أو ما قد ينتج عن حروب الشياطين أو افتراءات من أناس أشرار؛ فنثق أن الله سيتصرف في هذه الأمور ونأخذ الجانب المُفرح باستمرار ولا ندع الظروف الخارجية تُشعرنا بالإحباط والحزن.

من يحيا في الحزن لم يستفد من عيد البشارة.

فلنحيا في فرح الروح والبشارة المفرحة.

إشراقة النور الحقيقي الذي أتى إلى العالم

كان التجسد الإلهي هو إشراقة النور الحقيقي الذي أتى إلى العالم بعد أن تخبطت البشرية في ظلمات كثيرة حتى جاء السيد المسيح وقال: " أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ" (يو٨: ١٢). **جاء لكي يتسلل إلى مخادع القلوب، لا ليقتحمها اقتحامًا.**

إذ وُجد في الهيئة كإنسان أشبع البشرية في حنينها إليه واشتياقها أن تراه، وتتلامس معه، وتسمعه بكل الحب يناغيها وتناغيه.

وعندما ظهر الله في الجسد لم يظهر بملء المجد، إنما ظهر في صورة متواضعة بسيطة، يستطيع كل إنسان أن يقترب إليها ويتعامل معها... "اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا" (إش٩: ٢).

➢ فإذا تفكرنا في مشاعر إنسان يعيش في أحد السجون، وينتظر الخلاص من قيود هذا السجن، إنسان ينتظر الإعدام ولكنه يترجى المراحم الإلهية فيعفى عنه، إنسان يعيش في كآبة، في حزن وهناك بصيص من الأمل يراوده بين حينٍ وآخر، أسعد يوم في حياته هو اليوم الذي يأتي إليه أحد الحُجاب ويقول له يا فلان لقد صدر

الأمر بالإفراج عنك، وحُكم ببراءتك، وسوف تخرج قريبًا من السجن، وتنجو من حكم الموت.. هو لا يزال في السجن، ومازالت القيود في يديه ورجليه، ولم يطرأ تغيير على حياته، إنما بالرغم من كل هذا أشرقت عليه أنوار الحرية، وتنسم عبير الحياة. ذلك اليوم الذي جاءته فيه البشارة بخلاصه من العبودية ومن الموت، سيكون عنده تذكارًا عزيزًا وغاليًا جدًا.

➢ الإنسان الشرير يبغض النور ولكن إن أراد أن يتوب سيفرح، لأن النور قد أشرق على حياته، ويأتي إلى النور لكي يبدأ حياة جديدة مع السيد المسيح.

مِثْل المرأة التي غسلت قدمي السيد المسيح بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها ودهنتهما بالطيب. كانت إنسانة خاطئة ولكنها شعرت أن نور السيد المسيح يبدد الظلمة الموجودة في حياتها.

من يستطيع أن يصف خدمة السيد المسيح؟!! من يستطيع أن يصف تأثير السيد المسيح؟!! من يستطيع أن يصف شخصية السيد المسيح الذي قال عنه المزمور: "أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ" (مز٤٥: ٢)، ليس جمال في الشكل الخارجي والملامح فقط، ولكن أبرع جمالاً لأنه لا يوجد في كل تاريخ البشر من يؤثر

في حياة الناس كما حدث في إشراقة النعمة في شخصه الإلهي العجيب.

هو أنار الحياة لأنه هو الحياة، وهو النور لأنه قدوس بلا شر، ولأنه فيه تظهر كل القداسة، وقد قال: "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يو١٤: ٩). ويقول الكتاب: "اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ" (١تى٣: ١٦)...

كان كلامه يحرر الخطاة من سلطان الخطية. فالنور أشرق في حياة لاوي العشار "وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى لاَوِيَ بْنَ حَلْفَى جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ فَقَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَه" ُ (مر٢: ١٤).. ترك مكان الجباية وذهب وراء النور... والنور أشرق في حياة المرأة الخاطئة وقال لها السيد المسيح: "إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ! اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ" (لو٧: ٥٠)... النور أشرق في حياة زكا فطرد محبة المال من قلبه وقال السيد المسيح عنه: "الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهَذَا الْبَيْتِ" (لو١٩: ٩).

والسيد المسيح قال عن نفسه: "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ. وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ" (لو٤: ١٨، ١٩).

فنور الرب اكتسح كل عوامل الشر الذي في العالم، وتسلَّق النور قمة الجلجثة وتألَّق الحب متجليًا على الصليب.

وقال عنه الكتاب: "كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ" (يو ١: ٩).. أشرق السيد المسيح بنوره، فهو نور في قداسته.. هو نور في محبته.. هو نور في كرازته.. هو نور في تجسده.. هو نور في ميلاده من العذراء مريم... هو نور في خدمته... في تعاليمه... في سيرته... في حبه... في بذله... في نصرته... في قيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماوات لذلك يقول السيد المسيح: "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ" (يو ٨: ١٢).

رأينا مجده

يقول الكتاب: "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقًّا" (يو ١: ١٤).

عبارة "رأينا مجده" لها معنيان، لأن القديس يوحنا الرسول رأى مجده على جبل التجلي، وقد قال عن ذلك معلِّمنا القديس بطرس الرسول: "لأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللهِ الآبِ كَرَامَةً وَمَجْدًا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهَذَا مِنَ

الْمَجْدِ الأَسْنَى: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ" (٢بط١: ١٧).

إذن المعنى الأول لعبارة "رأينا مجده" هي رؤية شعاع من مجده وليس ملء مجده، أمَّا المعنى الثاني فهو أنهم برؤيتهم للسيد المسيح الكلمة المتجسد قد شاهدوا فيه الطهارة والقداسة، والسلطة على الشياطين، والقوة على إقامة الأموات، ولذلك عندما رأى الناس الآيات التي كان يصنعها السيد المسيح كانوا يقولون: "قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ" (لو٧: ١٦)؛ فكانوا يمجدون الله من أجل الآيات التي نظروها. ورؤية المجد تكون على قدر ما يستطيع الإنسان أن يرى أو يفهم.

عبارة "رأينا مجده" لا تعنى أن يوحنا قد رأى كل نور لاهوته لأن الله قال لموسى: "الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ" (خر٣٣: ٢٠). لكن "رأينا مجده" تعني رأينا تواضعه ووداعته.. رأيناه وهو يمشي على الماء.. رأيناه وهو يقيم لعازر من بين الأموات.. رأيناه وهو يعلِّم الجموع كمن له سلطان وليس كالكتبة... رأيناه وهو يغير حياة الخطاة ويحوِّل زكا من محبة المال إلى محبة الفقراء.. يحوِّل المرأة الخاطئة من محبة الخطية إلى محبة الطهارة والعفة.. هذه هي الأمجاد التي قصدها...

التجسد والحب والمغفرة

لقد رتبت الكنيسة قراءة إنجيل المرأة الخاطئة (لو٧: ٣٦-٥٠) في عشية الأحد الثاني من شهر كيهك الذي يُقرأ فيه إنجيل البشارة. **فبينما تسبح الكنيسة وتشدو وتترنم بترانيم الخلاص بحلول الكلمة في أحشاء البتول مريم؛ في نفس الوقت تقدِّم لنا قصة هذه المرأة،** لكي نتذكر أننا كنا مثقلين في سجن الخطايا والذنوب، وأننا كنا مديونين بالكثير جدًا مثل هذه المرأة لكن الرب غفر لنا خطايانا الكثيرة بمحبته، لكي يفتح الباب لكل إنسان في الطريق إلى قلب الله المحب.

عبَّرت هذه المرأة الخاطئة عن حال البشرية كلها التي كانت منتظرة مجيء السيد المسيح بصور متعددة وخصوصًا الذين كان لهم إيمان في أقوال الأنبياء. فانتظارهم امتد على مدى حوالي خمسة آلاف سنة من آدم حتى مجيء السيد المسيح.

هذه المرأة شعرت أنها مديونة بالكثير وهذا الشعور كان سببًا في وصولها إلى قلب الله، لم تجد شيئًا أثمن من قارورة الطيب، ولا شيئًا أحرّ من الدموع، ولا أكرم من شعر الرأس لكي تغسل أقدام الرب وتمسحها وتطيبها، ولسان حالها يقول أعطني يا رب ينابيع دموع كثيرة لكي أغسل قدميك اللتين أعتقتاني من طريق الضلالة وأُقدِّم لك طيبًا فائقًا وأقتني لي عمرًا نقيًا بالتوبة. لم تجد هذه المرأة

أثمن من تلك القارورة تُعَبِّر بها عن شدة إعجابها برائحة المسيح الزكية التي فاحت وملأت كل مكان، والتي أسرت قلبها ومشاعرها. كان معروفًا عن هذه المرأة إنها خاطئة لأن الفريسي قال: "لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا لَعَلِمَ مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ" (لو٧: ٣٩). وقد سَمِعتْ كثيرًا عن رب المجد يسوع وسمعتْ كيف خلَّص خطاة كثيرين وكيف انسكبت النعمة على شفتيه وكيف أن كل من كان به داء ولمسه بإيمان يبرأ، سمعت عن معجزاته في شفاء الأمراض وعن عمله في خلاص الخطاة واشتاقت كثيرًا أن تلتقي مع هذا المخلص، ولكن كيف تلتقي به؟ إذا سار في الطريق فالجموع تزحمه من كل موضع ومن كل جانب وإذا وقف يعلِّم الجموع تحيط به بالآلاف؛ كان الوصول إلى السيد المسيح له صعوبته بالنسبة لهذه المرأة. لقد نقب أصحاب المفلوج الأربعة سقف البيت حيث كان السيد المسيح جالسًا ودلوا السرير الذي كان يضطجع عليه، لأنهم لم يستطيعوا الوصول إليه. كانت المرأة الخاطئة تريد أن تُعبِّر عن رغبتها في ترك حياة الخطية والمضي في طريق التوبة، لقد ملأ قلبها الإحساس بالندم والمديونية الكبيرة، لكن كيف تستطيع أن تعبِّر عن كل هذه المشاعر؟ لمَنْ تذهب لتقدِّم توبتها أمامه؟

إعلان توبتها كان متلازمًا مع لقائها الشخصي مع السيد المسيح لترتوي من ينبوعه الذي يفيض قوة وخلاصًا ليدفعها في طريق النور وفي طريق الحياة.

علمَتْ أنه متكئ في بيت الفريسي فأخذتْ تقدمة وذهبتْ ووقفتْ عند قدميه مِن ورائه باكية، شعرتْ أن هذه هي فرصتها لكي تلتقي به، حتى ولو كان هذا في بيت الفريسي. كانت تعلم ما سوف يصيبها مِن الإحراج حينما تدخل، وتعلم مقدار قسوة الفريسيين في الحكم على الناس ومقدار اشمئزازهم من الخطاة، ونتذكر ذلك الفريسي الذي تحدث عنه السيد المسيح فقال إنه وقف يصلي في الهيكل وقال: "اَللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ وَلاَ مِثْلَ هَذَا الْعَشَّارِ" (لو١٨: ١١).

كان الفريسيون يبررون أنفسهم ويحتقرون الآخرين لكن بالرغم من الحرج الذي سوف يُصيبها، تقدَّمتْ لأنها تعلم أن الخطية لابد مِن أن تفضح الإنسان وتُسبب له مِن الخجل والعار الكثير. وكأن لسان حالها يقول إني مستحقة لكل تعيير وخزي.. لذلك ذهبت إليه، ولم تذهب فارغة بل ذهبتْ تحمل مشاعرها وتحمل تقدمتها أيضًا. وقد قَبِل الرب تقدمة هذه المرأة من الطيب، ومع أن الله لا يقبل تقدمات الخطاة، قَبِل هذه التقدمة لأنها قُدِّمَت مِن قلب منسحق بشدة، من

قلب تائب مشتاق لحياة النعمة والبر. جاءت أولاً ووقفت تبكي ولم تقترب إليه، بل وقفت من ورائه عند قدميه باكية؛ وعندما شعرت أنه سوف يقبل اقترابها إليه بدأت تبل قدميه بدموعها.

من يشعر بالندم الشديد على خطية؛ لا يخجل من أن يعترف بها، وإذا شعر بالخجل يعتبر نفسه مستحقًا لهذا الخجل، وأنه مستحق أن يظهر في صورة المذلة والعار؛ فينظر الله إلى مذلته ويغفر له ويرفع عنه خطيته.

أمَّا من يريد أن يظهر بأجلى مظهر وبصورة حسنة وهو من الداخل مملوء خطية وشر، فهو كالقبور المبيضة من الخارج، وخطيته لا تغفر.

ما الذي كان يدور في ذهن هذه المرأة حينما سكبتْ الدموع على قدميه؟ ما هو المغزى أو المعنى الذي دفعها إلى هذا العمل؟ ألا يكفي البكاء وحده؟ ألم يكن من الممكن أن تضع الطيب على رأسه أو على كتفيه؟ لماذا اختارت قدمي الرب لكي تبكي فوقهما؟

كانت العادة قديمًا أن صاحب البيت يغسل قدمي ضيفه بماء علامة تكريم واحترام له ونوع من إراحة الإنسان المتعب من الطريق.

رأت هذه المرأة في السيد المسيح ضيفًا سماويًا وأن البشرية تستقبل هذا الضيف. والسيد المسيح عندما سار على الأرض لم يكن يليق به أن يوجد في الهيئة كإنسان في صورة عبد لأنه هو الجالس فوق مركبة الشاروبيم هو الذي تستر الملائكة وجوهها من بهاء عظمة مجده وهو الذي تستر الملائكة أرجلها خجلاً وحياءً أمامه، فحينما نظرتْ إلى قدميه شعرتْ أن هاتين القدمين الكريمتين الطوباويتين قد أتيتا لتمشيا على الأرض من أجل خلاصها هي، وأن هاتين القدمين قد تعبتا سيرًا بسبب خطاياها هي، هاتين القدمين لا يليق بهما السير على الأرض بل يجب أن تُحملا فوق الرأس ولا تمسا الأرض على الإطلاق.

لكن "لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (٢كو٥: ٢١) إذ حمل خطايانا في جسده، فشعرت أن هنا يكون موضع البكاء.

إن إزالة أحزان قلب الله هي دموع التوبة التي تسكبها تلك النفس التي شعرت بثقل خطاياها.

فجاءت من ورائه ووقفت عند قدميه باكية وابتدأت تبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها.

من المعروف مقدار اعتزاز المرأة بشعر رأسها لأنه هو تاج للمرأة، وكان هذا إعلانًا أنها تضع السيد المسيح في عمله الخلاصي من أجل الإنسان تاجًا لرأسها عوضًا عن كرامة هذا العالم.

منتهى الحب والتقدير لشخص السيد المسيح واعتراف منها بأن هذا الشخص هو ضيفٌ قد أتى من فوق وليس من الأرض

"اَلَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ وَالَّذِي مِنَ الأَرْضِ هُوَ أَرْضِيٌّ وَمِنَ الأَرْضِ يَتَكَلَّمُ. اَلَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ" (يو٣: ٣١).

وكانت تقبّل قدميه وتدهنهما بالطيب، هذه القُبلات لقدمي الرب يسوع هي قُبلات الاشتياق إلى العشرة مع الله ومحبته دائمًا، فالإنسان إذا قَبَّل شيئًا إنما يُقبّل ما هو عزيز عليه.

بكل عواطف الحب والاحترام والتقديس شعرت أن هاتين القدمين قد سارتا إليها لكي تمنحها خلاصًا وغفرانًا لخطاياها، لعلها قد رأت الجراحات من خلال دموعها وعرفت أن خطاياها قد جرحت قلب الله المُحب. لعلها رأت الجراحات المزمعة أن تمزق هاتين القدمين فبدأت تقبّل موضع هذه الجراحات المزمعة أن تكون. أقدام سُمرتْ على الصليب ونزفتْ الدماء، دماء الحب الإلهي، وفي سفر نشيد

الأنشاد تقول العروس: "لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ" (نش١: ٢). وكأنها كانت ترتشف من خمر حب الله أو ذلك الدم الذي سال من قدميه الطاهرتين.

كثيرون اختاروا أن يكون موضعهم عند أقدام الصليب وكان هذا سبب قوة عجيبة في حياتهم الروحية... ولسان حالهم يقول لشخص السيد المسيح: كلما طافت بك العين انزوت نفسي الخَجلى يغطيها بُكاها.

لست أستطيع أن أتطلع في وجهك وجسدك ولكن ليس لي إلاَّ أن أنظر إلى قدميك الجريحتين.

كانت هذه المرأة تشعر بالآلام والجراحات وتقبِّل مكان هذه الجراحات في حب وتقدير عميقين كالأم التي تُقبِّل ابنها المتألم.

لم يفهم الفريسي هذه المعاني العميقة لأنها كانت أكبر من أن يستوعبها قلبه المتقسي بسبب الكبرياء. ولكن تفهمها قلوب المنسحقين والمتواضعين أولئك الذين يشعرون بمديونيتهم ويشعرون دائمًا أنهم لا يستحقون مجرد المثول بين يديَّ الله. جاءت هذه المرأة لكي تفهم أسرارًا عميقة من أسرار العشرة مع الله ولقد قَبِل الله توبتها وقَبِل محبتها وأعلن لها جانبًا من حبه.

فحينما يكشف السيد المسيح جراحاته لمحبيه حينئذ يكون قد كشف لهم سر الحب الإلهي.

هذه مشاعر الإنسان التائب الذي يترك عنه الطباع الرديئة، وتظهر في حياته الفضيلة، وثمار الروح القدس، ويشعر أن محبة الله تغمر حياته

وجدنا مسيا

وجدت البشرية المخلص المسيح المتجسد، وها هي الفرصة لكل إنسان أن يفكر بينه وبين نفسه ويسأل نفسه هل اكتشف المسيح في حياته؟ هل وجد المسيح؟ هل عرفه؟ يجب أن يشعر الإنسان بعمل السيد المسيح في حياته الشخصية وفي داخله.

من الناحية العامة الخارجية أو الظاهرية فالسيد المسيح هو الذي ينطبق عليه ما لا ينطبق على غيره فهو الذي تَكمُل فيه النبوات، أمَّا من الناحية الداخلية في حياة كل إنسان فلا يستطيع أحد أن يؤثر في حياة الإنسان في البعد الداخلي مثل السيد المسيح.

الإنسان حينما ينظر إلى الخارج يجد شهادة النبوات التي تشير إلى السيد المسيح، وعندما يَقبَله ينظر إلى داخله فيجد التأثير غير العادي فالاثنان يتقابلان معًا.. التأثير الخارجي والتأثير الداخلي..

وعندما يتقابلا معًا نستطيع أن نقول: "قَدْ وَجَدْنَا مَسِيَّا الَّذِي تَفْسِيرُهُ: الْمَسِيحُ.... وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءُ: يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ" (يو ١: ٤١، ٤٥)

كما حدث مع نثنائيل الذي بمجرد رؤيته للسيد المسيح قال "يَا مُعَلِّمُ أَنْتَ ابْنُ اللهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ" (يو ١: ٤٩). عبارة قوية جدًا.. من أول مقابلة!!! لقد وصف إرسالية السيد المسيح باعتباره أنه هو ابن الله الوحيد المتجسد وهو الله الذي جاء لكي يملك على شعبه، لكي يملك ملكية حقيقية، كما يقول "مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ أَفْدِيهِمْ. مِنَ الْمَوْتِ أُخَلِّصُهُمْ" (هو ١٣: ١٤).

لا يقدر الإنسان المقيد المربوط أن يفك نفسه، لابد أن يفكه آخر..

لذلك جاء يسوع ورُبط بحبال شهواتي ولذات قلبي،

وبذلك نلت الحرية.

من أقوال القمص بيشوي كامل

"النُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ "

توجد حياة منيرة وحياة مظلمة، حياة مقدسة وحياة شريرة، ولكن الحياة المظلمة لا يجوز أن نسميها حياة؛ من الأفضل أن نسميها موتًا لأن حياة ليس فيها الله وحياة ليس فيها البر هى الموت بعينه. فالكراهية ظلمة والحب نور. الخيانة والزنا ظلمة والطهارة والقداسة نور، الأنانية ظلمة والعطاء والبذل نور.

من الذي أعطى للبذل معناه الجميل؟!! "بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ" (١يو٣: ١٦) من الذي أعطى للطهارة معناها الجميل؟!! بعض البشر يفتخرون أنهم يفعلون مفاسد وشرورًا كثيرة ويعتبرونها فخرًا "الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ، الَّذِينَ إِلَهُهُمْ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ، الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ" (فى٣: ١٩). إنسان يفتخر أنه شهواني، يفتخر أنه يستطيع أن يصنع الخطيئة، ويكون هذا فخره ولكن هذا الفخر هو خزي. أمَّا الإنسان الروحي فيفتخر بصليب الرب يسوع المسيح، "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ" (غلا٦: ١٤) وكذلك "وَأَمَّا مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ" (٢كو١٠: ١٧).

والإنسان الروحي أيضًا يحافظ على طهارته وعلى عفته، وحياة القداسة بدونها لن يرى أحد الرب سواء كان متزوجًا أو راهبًا. إن المسيحية تُعلِّم الإنسان حياة العفة والطهارة قبل الزواج، وأن يكون الزواج مقدسًا وطاهرًا.

➢ من الذي عرَّفنا قيمة حياة الطهارة؟! ومن الذي عرَّفنا قيمة المحبة؟! من الذي قال: "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ" (مت٥: ٤٤)؟ **لم يستطع أحد أبدًا أن يقول هذه العبارة إلاَّ ينبوع الحياة المنير**. فالذي يريد أن يحب عدوه لابد أن يكون عنده طاقة حب فائقة للطبيعة. اسطفانوس فى شدة عذابه وآلامه يقول "يَا رَبُّ لاَ تُقِمْ لَهُمْ هَذِهِ الْخَطِيَّةَ" (أع ٧: ٦٠) ما هذه الروعة!!! فكيف يتحرر الإنسان من محبته لنفسه بهذه الصورة؟ هذه هي الحياة المنيرة، لذلك يقول الكتاب: "فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ. وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ" (يو ١: ٤).. وما الذي يحتاج للنور؟ الظلمة هي التي تحتاج إلى النور.

لقد جاء المسيح لكي ينير حياة البشر، "لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢كو٤: ٦)، يشرق بمعرفة نور ربنا يسوع المسيح الذي "أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ" (٢تي١: ١٠).

الذي يريد الحياة الممنوحة من الله فليحيا حياة على مثال حياة السيد المسيح نفسه. الذي جاء متجسدًا، لكي يرفع بصيرة الإنسان نحو السماويات، ولكي يعيد له الصورة التي خُلق عليها. وليرفعه إلى أحضان أبيه.

فكل إنسان لديه آمال، مخاوف، أو مشاكل تحتاج لحضور الله. فإن هذا ما يعلنه لنا حضور الكلمة في تجسده وولادته من العذراء مريم "الله معنا".

إن الرب هو ذلك الزائر العجيب الذي جاء إلى العالم، وله القدرة أن يأتي إلى عالمنا الصغير كلما طلبناه، ليحوّل غربتنا إلى مشهد سماوي، فيه السلام، والمسرة، وتمجيد اسم الله الذي أحبنا وأنار حياتنا بميلاده العجيب.

فليعطنا الله في هذا العيد المبارك أن ننهل من محبته ونزداد فهمًا لأسراره الإلهية العميقة.

فهرس

مقدمة لنيافة الأنبا ماركوس ٧

مقدمة الكتاب..... ٩

هُوَذا اللَّه خلاصي.....١١

يوحنا السابق..... ١٤

البشارة بميلاد المخلص.....٢٦

كيف نعيش بروح البشارة المفرحة؟ ٣٥

إشراقة النور الحقيقي.....٣٩

التجسد والحب والمغفرة..... ٤٤

"النُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ..... ٥٣